كي لا يخدعوكم بالخطر الشيعي كما خدعوكم بالشيوعية

فيصل القاسم

كم كان وزير «الدفاع الإسرائيلي» موشي ديان محقّاً عندما قال قولته المشهورة: «العرب أمة لا تقرأ، وإن قرأت لا تفهم، وإن فهمت لا تفعل»!

ونحن نقول كم ذاكرتنا العربية والإسلامية قصيرة عندما نكرّر ببغائياً: «لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين»، ثم نسمح لنفس الأفعى أن تلدغنا مرّات ومرّات؟

لماذا لم يتعلّم الإسلاميون من تجربتهم المريرة في أفغانستان؟ ألم تخدعهم أمريكا بالتطوّع في معركتها التاريخية للقتال ضد السوفيات ليكونوا وقوداً لها، ثم راحت تجتثّهم عن بكرة أبيهم بعدما انتهت مهمّتهم وصلاحيتهم؟

لماذا يكرّرون نفس الغلطة الآن بالانجرار بشكل أعمى وراء المخطط الأمريكي لمواجهة «الخطر الشيعي» المزعوم، علماً أن الكثير من رفاقهم ما زالوا يقبعون في معتقل غوانتانامو؟

فبرغم اصطدام المصالح إلى حد المواجهة العسكرية و«الإرهاب» بين الأمريكيين والإسلاميين في السنوات الماضية، إلا أنّ مصالحهم ـ ومن سخرية القدر ـ بدأت تلتقي في الآونة الأخيرة عند نقطة واحدة، ألا وهي مواجهة إيران. فمن الواضح الآن أن هناك خطة مفضوحة لإعادة إنتاج «تحالف أفغانستان» في مواجهة «الخطر الشيوعي» قبل ربع قرن من الزمان، كأن يُعاد تشكيل التحالف ذاته وبمكوناته ذاتها، ولكن في مواجهة «الخطر الشيعي» هذه المرة.

ما أشبه الليلة بالبارحة! بالأمس القريب تنادى الإسلاميون من كل بقاع الأرض، وشدّوا الرحال إلى أفغانستان استجابةً لنداء «الجهاد» الذي أطلقه الأمريكيون وبعض الاستخبارات العربية لمحاربة السوفيات، مع العلم أن فلسطين كانت على مرمى حجر منهم، لكنهم فضلوا «الجهاد» في بلاد خوراسان لتصبح كابول المنسية، بقدرة قادر، مربط خيلهم!

وبعد أن تمكّنوا من طرد القوات الروسية من أفغانستان تخلّى عنهم رُعاتهم من أمريكيّين وعرب وأصبحوا مطاردين منبوذين حتى مات بعضهم كمداً، وتوسّل الآخرون العنف انتقاماً من الأنظمة العربية التي غرّرت بهم واستغلّتهم وقوداً في حرب أمريكا ضدّ السوفيات.

يزعم هذا الصنف من الإسلاميّين أنّهم لم يوالوا الأمريكيين يوماً، لكن المصالح تقاطعت بغير رضاهم!

لذلك، أرجو ألا نسمع في الأيام القادمة أن مصالح «الفاشيّين الإسلاميين»، كما يصفهم الأمريكيون، قد تقاطعت مرة أخرى مع المصالح الأمريكية ضد «المجوس» هذه المرة، كما كانت قد تقاطعت من قبل ضد السوفيات في أفغانستان.

أرجوكم فكّونا من هذه التقاطعات حتى لو كانت غير مقصودة، وتذكّروا كيف أنّ الأمريكيّين وبعد هزيمة السوفيات ضغطوا على الأنظمة العربية، ليس فقط للقضاء على الإسلاميّين بل «لتنظيف» المناهج من المفاهيم والقيم الإسلامية الجهادية، وحتى حذف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وكنا نظن بعد كل الذي حصل أنّ «المجاهدين» قد تعلموا الدرس، فلن يعيدوا لعبة تقاطع المصالح القميئة ثانية. لكن، على ما يبدو أن بعض الإسلاميين لم يتعلّم الدرس، ومازال يستمتع بهذه اللعبة، فبدأ يبلع خلافه مع الأمريكيين، وكأن الذي حصل بين الجانبين من معارك طاحنة في الأعوام الماضية يهون عند «الخطر الإيراني» المزعوم الذي بدأ يروج له الأمريكيون ووسائل الإعلام العربية المتحالفة معهم بنفس الطرق التأليبية والتحريضية المفضوحة.

لقد ضحك الأمريكيون على الإسلاميين بتصوير السوفيات على أنهم جاؤوا لإفساد أفغانستان المسلمة، ونشر الرذيلة فيها، ووضع الإناث والذكور في مدارس مختلطة. أما الآن، فالأمريكيون يتباهون بتشجيع الأفغانيات على السفور، وبيع اللحم البشري، وتزييف عقول الشباب الأفغاني، وحشوها بالمخدرات والسخافات والموسيقى الغربية الهائجة بحُجة التحرّر.

لكن مهلاً كي لا تأخذكم الغيرة العمياء بعيداً، فاللعبة من ألفها إلى يائها لعبة أمريكية هوليودية من أجل أهداف أمريكية و«إسرائيلية» محضة ليس لكم فيها لا «خيار» ولا «فقّوس».

هل ترضون بأن تحقّقوا أغراض تل أبيب، كما حقّقتم من قبل أهداف واشنطن في أفغانستان، وشاهدتم ماذا كانت النتيجة؟

إذا كان لديكم مشكلة مع إيران فلا تخوضوها مع الأمريكيين، لأنهم لا يريدونكم فيها سوى أدوات وأحصنة طروادة لتحقيق مصالحهم فقط، رغم زعمكم بتقاطع المصالح.

ثم ماذا كسبنا من تمكين الأمريكان من رقبة هذا العالم ومن رقابنا ليصبحوا القوة العظمى الوحيدة التي تصول وتجول دون وازع أو رادع، وتستبيح بلادنا ومقدساتنا بلا شفقة ولا رحمة؟ هل أصبح وضع الإسلاميين في العصر الأمريكي أفضل مما كان عليه في العصر الأمريكي السوفياتي؟

متى يُدرك بعض الإسلاميّين أن أمريكا لا تفضل سُنّي على شيعي بأي حال من الأحوال، فالجميع، بالنسبة لها، إرهابيون كما سمعنا من كبار كبارهم، ونسمع يومياً على رؤوس الأشهاد.

وعندما يتطاول الضباط الأمريكيون على كتاب المسلمين في غوانتانامو لا أعتقد أنهم يميزون في تلك اللحظات الحقيرة بين إيراني وسعودي، أو سنّي وشيعي.

فمتى تكبر عقولنا وننضج ونتوقف عن خوض معارك الآخرين بدمنا ولحمنا الحي وثرواتنا وعقيدتنا؟ ومتى سنُصبح أُمة تقرأ، وتفهم، وتتّعظ، وتفعل؟

نقلاً عن صحيفة «الشرق» القطريّة

وجه الله، والدار الآخرة

من صور جهاد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل:

«وزحف عليٌّ عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بَنوه: الحسن والحسين ومحمد عليهم السلام، ودفع الرّاية إلى محمد، وقال: أَقدم بها حتّى تركزها في عين الجمل، ولا تقفنّ دونه. فتقدّم محمد، فرشقته السّهام، فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفدَ سهامُهم، فلم يبقَ لهم إلا رشقةٌ أو رشقتان. فأنفذ إليه عليٌّ عليه السلام يستحثّه، ويأمره بالمُناجزة، فلمّا أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن، وقال له: أَقدِم لا أمّ لك! فكان محمد رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بعدُ يبكي، ويقول: لكأنّي أجد ريح نَفَسِه خلفي، والله لا أنسى ذلك أبداً. ثم أدركتْ عليّاً عليه السلام رقّةٌ على ولده، فتناول الرّاية منه بيده اليسرى، وذو الفقار مشهورٌ في يُمنى يديه، ثمّ حمل فغاص في عسكر الجمل، ثمّ رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بِرُكْبَتِه. فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين، فلم يُجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره، وظل ينحَطُّ [يزفر] ويزأر زئير الأسد، حتى فرّق مَن حوله. وتبادروه وإنّه لطامحٌ ببصره نحو عسكر البصرة، لا يُبصر من حوله، ولا يردّ حواراً، ثم دفع الرّاية إلى ابنه محمد، ثمّ حمل حملةً ثانيةً وحده، فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قُدُماً قُدُماً، والرّجال تفرّ من بين يديه، وتنحاز عنه يمنةً ويسرة، حتى خضّب الأرض بدماء القتلى، ثمّ رجع وقد انحنى سيفُه، فأقامه برُكبته، فاعصوصب به أصحابه [اشتدّوا عليه وألحّوا]، وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنّك إنْ تُصَبْ يذهبْ الدِّين، فأمسك ونحن نكفيك. فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجهَ الله والدارَ الآخرة».

الشيخ عباس القمّي، سفينة البحار، ص 690ـ689؛
إبن أبي الحديد، شرح النهج، ج 1، ص 257.

هدف الجهاد الأصغر إذاً، هو وجه الله، والدار الآخرة، وإن شئتَ قلت: الجهاد الأكبر قبلةُ الجهاد الأصغر، منه يستمدّ قيمتَه، ولولاه لتحوّل إلى عملٍ عسكريّ لا جذور له.

هذا ما أدركه طلاب الشهادة في المدرسة المحمديّة العلويّة. ينادي به بجهير الصوت، موقف عابس بن شبيب الشاكريّ في كربلاء وهو يقول للشهيد الترب الجليل شوذب: «هذا يومٌ نطلب فيه الأجر بكلّ ما نقدر عليه».

ويتلاطم في آيات الجهاد موج الثواب الخيّر، والفوز المبين، والأجر العظيم. حتمٌ على المجاهد في ساحات المعارك، وبينها، أن يهتمّ بحراسة ثغور ثوابه بالمرابطة على ثغور القلب، حذراً من كلّ المسارب التي يتسلّل منها شيطان النّفس الأمّارة، ليبدّد هذا الثواب ويهدره.

أيها العزيز: لِيكنْ ثواب الله تعالى نصبَ عَينَيْ القلب العاقل، ولا ترضَ بغيره بدلاً، فهو ثمرة الإنسانيّة وقطوفها الدانيّة، لا ترضَ أن يكون غيرُ الثواب جزءاً من الثمن، وإلا ديفت الحيوانيّة بالإنسانيّة، كما يُداف السمّ بالعسل، وهو من معاني تلبيس الإيمان بالظلم، وهو الرّياء، وهو نفسه الشِّرك. تلمّس جذور نبتة النيّة بعد ما تلمّست البذرة، وتعاهد شجرتها باستمرار، وعند كلّ حركة وسكَنة، والله وليّ التوفيق.

والسلام عليك ورحمة الله.

ندوة «فلسفة المقاومة» في «مركز دلتا للأبحاث المُعمّقة»

عُقدت في «مركز دلتا للصحافة والأبحاث المعمّقة» بالتعاون مع «منتدى تحوّلات»، ندوة فكرية بعنوان «فلسفة المقاومة – التضحية عندما تصير حقلاً لإنتاج الأفكار»، شارك فيها كلّ من مدير المركز محمود حيدر– د. أدونيس العكرة – د. علي حمية ود. حبيب فياض.

جاء في كلمة الافتتاح التي ألقاها مدير المركز: «إنّ مسعانا في هذه الندوة هو إطلاق نقاش واسع ومعمَّق على مستوى النخب الفكرية، يُفضي إلى إنتاج مقولات ومفاهيم في الفلسفة السياسية تُنتزع من أرض المواجهات وحقول التضحيات».

بدوره، عرض الدكتور علي حمية في مداخلته لتجارب المقاومة ببُعدها الثقافي والإيديولوجي والنهضوي، مُشيراً إلى أنّ العامل الإيماني في مسار المقاومة لعب الدور الحاسم في الإخلال بمعادلات الصراع مع العدو الصهيوني.

ثمّ تحدّث الدكتور حبيب فيّاض داعياً إلى إطلاق نشاط تنظيري بين أوساط النُخب الفكريّة، يهدف إلى توليد تيارات مَعرفية ونهضويّة بناءً على تجربة المقاومة في لبنان ونجاحاتها في دحر الاحتلال «الإسرائيلي».

أما الدكتور أدونيس العكرة فقد عرض لمفهوم العقد الإجتماعي من خلال تجارب الثورات الكبرى في العالم، ومحوريّة هذا العقد في منظومة القِيَم وعمليات التغيير التي تشكّل المقاومة إحدى أبرز تجلّياتها.